***Dirasat*: Human and Social Sciences, Volume 52, No. 6, Supplement 1, 2025, 7156**

Deanship of Scientific Research

Contemporary Lights on Apuleius the Madorite and his Novel "The Golden Donkey"/ "Metamorphoses"

Béarcia Sabah*

Department of History, University of Djilali Bounaama, Khemis Miliana, Algéria.

Received: 13/3/2024
Revised: 24/6/2024
Accepted: 20/8/2024
Published online: 1/7/2025

* *Corresponding author:*
s.bearcia@univ-dbkm.dz

Citation: Sabah, B. (2025). Contemporary Lights on Apuleius the Madorite and his Novel "The Golden Donkey"/ "Metamorphoses". *Dirasat: Human and Social Sciences*, *52*(6), 7156. https://doi.org/10.35516/hum.v52i6.7156

Abstract

Objectives: The research aims to introduce the personality of Apuleius (125 AD-around 170 or 180 AD) and his novel "The Golden Donkey," as well as to establish its literary impact on the modern novel.

Methods: The research is based on a critical historical methodology, highlighting the influence of political, social, and cultural conditions on literature of that era. This involves referring to primary sources and recent references, comparing and analyzing their scientific material, and reformatting it after re-linking. The study attempts to capture the difference between Latin literature and Latinophone literature (written in Latin). For reference, an Arabic translation of the novel was used rather than the original Latin version.

Results: The results illustrate the contribution of this Maghrebi figure to world literature, Apuleius's place in Latin literature, and his connection to the land and local culture (Amazigh), despite writing in the colonizer's language (Latin). It emphasizes that attributing works by scholars from the region to the colonizers who settled there since ancient times does not negate their connection to the land, and thus it is necessary to attribute these works to the region rather than the colonizer. It is more accurate to refer to this as Maghrebi Latinophone literature.

Conclusions: The research concludes that there is a need to re-evaluate the ancient cultural components of North Africa and correct some common misconceptions in the history of the region's scientific thought, including attributing the works of North African scholars to the languages in which they were written. This involves distinguishing between Latin literature and Latinophone literature (written and spoken in Latin).

Keywords: Apuleius; Ancient Maghreb; Ancient Maghrebi Literature; "Metamorphoses"; Narrative Art.

أضواء معاصرة على أبوليوس المادوري ورو ايته "الحمار الذهبي"/"التحولات"

*بعارسية صباح**

قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر.

ملخّص

الأهداف: يهدف البحث إلى التعريف بشخصية أبوليوس (125م- حوالي 170 أو 180م)، وبروايته "الحمار الذهبي" وبيان أثرها كفن أدبي على الرواية الحديثة.

المنهجية: استند البحث على المنهج التاريخي النقدي، بإبراز أثر الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية على الأدب في ذلك العصر. وذلك بالرجوع إلى المصادر الأولية والمراجع الحديثة ومقارنة مادتها العلمية وتحليلها، وصياغتها بعد إعادة ربطها. كمحاولة لرصد الفارق بين الأدب اللاتيني والأدب اللاتينوفوني (الناطق باللاتينية). للإشارة، لقد تم اعتماد ترجمة عربية للرواية وليس على النسخة الأصلية (اللاتينية).

النتائج: بيّنت النتائج مساهمة هذه الشخصية المغاربية في الأدب العالمي، ومكانة أبوليوس في الأدب اللاتيني ومدى ارتباطه بالأرض وبالثقافة المحلية (الأمازيغية) رغم أنه ألّف بلغة المستعمِر (الرومان) اللاتينية. وأن نسبة أعمال مثقفي المنطقة للمستعمِرين الذين حلّوا بالمنطقة منذ العهود القديمة، لا ينفي ارتباطهم بالأرض ومنه ضرورة نسبة هذه الأعمال للمنطقة وليس للمستعمِر. والأصح تسميته بالأدب المغاربي اللاتينوفوني (الناطق باللاتينية).

الخلاصة: خلُص البحث إلى ضرورة إعادة الاعتبار للمكوّنات الثقافية القديمة لشمال إفريقيا، وتصحيح بعض الأخطاء الشائعة في تاريخ الفكر العلمي للمنطقة، منها نسبة أعمال علماء شمال إفريقيا إلى شعوب اللغات التي كتبوا بها. وذلك بتمييز الأدب اللاتيني عن الأدب اللاتينوفوني (الناطق والمكتوب باللغة اللاتينية).

الكلمات الدالة: أبوليوس، المغرب القديم، الأدب المغاربي القديم، "التحولات"، الفن السردي.

© 2025 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مقدمة

لوكيوس أبوليوس Lucius Apuleius أو أفولاي، بالنطق المحلي، شخصية مغاربية قديمة لا نعرف عنها إلا ما ذكره أبوليوس نفسه في كتاباته، وإشارات طفيفة في كتابات مواطنه القديس أوغسطينوس Augustinus. يكتنف الغموض مراحل من حياته، وهو نفسه لم يسلط الأضواء في كتاباته إلا على فترات قصيرة منها. وتبقى الطريقة الوحيدة لمعرفة شخصية المثقف المغاربي القديم في دراسة إنتاجه العلمي والأدبي، وما أشار له عن حياته اليومية وعن علاقاته المجتمعية في مؤلفاته.

جاء في كتاب مدرسي أن "إبليوس" (ق.2م) أنبغ علماء عصره، طاف بعدة عواصم: أثينا، روما، والإسكندرية، حيث شهد له العلماء بسعة أفقه وغزارة علمه، ولقبوه بالكاتب الملك النوميدي، وأن كتبه اليوم من أمهات المصادر اللاتينية (شرفي، د.ت). هذه هي نظرة وزارة التربية الجزائرية في ثمانينيات القرن الماضي لشخصية لوكيوس أبوليوس. بصرف النظر عن الخطأ في الاسم، من تكون هذه الشخصية المغاربية القديمة التي كانت تحتل كتبها مكانة كبيرة في الأدب اللاتيني؟ وما كانت مساهمتها في الأدب العالمي؟ وهل كان أبوليوس أديبا لاتينيا أم أديبا لاتينوفونيا؟ قياسا بالأدباء الفرنسيين والأدباء الفرنكفونيين غير الفرنسيين.

1. الإطار الثقافي:

استهل أبوليوس فترة الأدب الإفريقي المكتوب باللاتينية (Boissier, 1909)، وعاش في عصر بداية الفترة الذهبية للأدب المغاربي الناطق باللاتينية (اللاتينوفيني)، وهي فترة اشتهرت بإحياء الاهتمام بالريطوريقا (علم البلاغة)، والفلسفة، والتنقل بين المراكز العلمية (أثينا، وروما، وقرطاج، والإسكندرية..)، وكثُر فيها الإنتاج الفكري والاختلافات الثقافية بحكم اتساع الإمبراطورية الرومانية وتعدد شعوبها. وقد كثرت في هذه الفترة الكتب المدرسية والتعاليق والملخصات، وامتازت ثقافة هذا العصر كذلك بازدواجية اللغة (اليونانية والرومانية)، وبكون مثقفيها مختلفي الأجناس. (ميس، 2010)

2. ترجمة أبوليوس:

ولد أبوليوس بمدينة مادورس Madaurs (في ولاية تبسة حاليا، أقصى شرق الجزائر) حوالي سنة 125م، من أسرة ثرية عريقة النسب. تلقى دراسته بمسقط رأسه حيث تعلم اللاتينية، ثم سافر لقرطاجة وفيها تعلم الفلسفة، ثم لأثينا وفيها اعتنق الأفلاطونية الجديدة، بالإضافة للنحو والبلاغة (الريطوريقا) والموسيقى والفيزياء وفن الجدل، ثم حلّ بروما حيث أصبح كاهن الآلهة، وامتهن المحاماة للتقوُّت (Cèbe, 1989). عاد لمادورس بعد وفاة والده وورث نصف ثروته ووظائفه، ثم استقر بقرطاج. وعندما كان قاصدا الإسكندرية مرض بأويا (طرابلس اليوم)، وهناك التقى برفيق الدراسة (عندما كان بأثينا) بونتيانوس سيسينيوس Sicinius Pontianus، الذي عرض عليه الزواج من والدته؛ الأرملة الغنية إيميليا بودنتيلا E.Pudentilla. بعد الزواج توفي الربيب بونتيانوس، وتعرض أبوليوس لمشاكل مع العدالة، واتهم بالسحر، وبقتل زميله وربيبه بونتيانوس (أبوليوس، 2004)، وتمكن من تبرئة نفسه بفضل بلاغته (انظر المرافعة) (أبوليوس، د.ت). عاد بعدها لقرطاج حيث مارس عدة مهن، منها: المحاماة، والطب، والفلسفة، والكتابة الأدبية (الرواية)،.. كما حاضر في مختلف المعارف. طارت شهرته، وكُلِّف بوظائف رسمية عالية: حاكم المقاطعة، والكاهن الأكبر لإفريقيا. عاش كذلك لغاية سنة 170م، وبعدها انقطعت أخباره (أبوليوس، 2017)، ومن قائل أن وفاته كانت سنة 180م. (Gostensky, s.d.)

1.2. صفاته:

وُصف أبوليوس بعدة نقائص: التصنُّع، السُقم، الاضطراب.... ورغم عمق معرفته بالكُتّاب الإغريق والرومان كان سيبدو بدويا في تجمُع للكلاسيكيات، على الرغم من هذا فإنه كان يُبهر ببلاغته وأسلوبه وبعقله ونشاطه الغريب (Monceaux, s.d.). كان شخصية غريبة جديرة بالتصوير. بدّد ثروته التي ورثها عن عائلته في تنقلاته من مدينة لأخرى، وهي التنقلات التي كان خلالها ينتقل من دين لآخر، وينْضمّ للجماعات ذات الطقوس الدينية الخفية. مارس السحر، وألّف كتبا كثيرة في موضوعات مختلفة من اللاهوت إلى مسحوق الأسنان (أبوليوس، 2004)، وألقى محاضرات في الفلسفة والدين في روما وفي غيرها من المدن (البرغوثي، د.ت). كان رجل التناقضات؛ جاد وتافه، ورع وماجن، مفتون بالحقيقة ومشعوذ قليلا، راغب في التعليم وفي الإبهار... (Apulée, 1924). اتُهم في بلده بممارسة السحر، ولكنه دافع عن نفسه بصلابة، وألّف في الموضوع كتاب "في السحر" "Magicae" (شفيق، 1988). أقامت له مدينته نصبا تذكاريا نقش عليه باللاتينية: "الفيلسوف الأفلاطوني" (البرغوثي، د.ت). يبقى أبوليوس، مع كل محاسنه ومساوئه، ذائعا الصيت، وأشهر وأكمل ممثل لإفريقيا الرومانية (Monceaux, s.d.). قال عنه القديس أغسطينوس (430م): "عندنا، نحن الأفارقة، أبوليوس كإفريقي هو الأكثر شعبية"

« Chez nous Africains, Apulée, en sa qualité d'Africain, est plus populaire » (Monceaux, s.d.)).

« Among us Africans, Apuleius, in his position as an African, is more popular ».

2.2. تكوينه:

كان يفد على مدينة قرطاج الطلبة الأفارقة (سكان شمال إفريقيا) الذين بلغوا مرحلة التعليم العالي، فقد كانت عاصمة المقاطعة ومنبع العرفان ومعقل الأدب والثقافة بالربوع الإفريقية. وقد أمّها أبوليوس، بعد إنهاء المرحلة الثانوية بمادوروس، فأقبل على دروس الفصاحة والخطابة متلقيا تعليم

"الريتور"(Rhetor) مدرّس البلاغة، بكد وشغف وتوق إلى اكتساب البراعة في صياغة فصيح الكلام، واختيار اللفظ البليغ الذي يضفي على الخطبة رونقها وبهرجها (أبوليوس، 2017). وكان الأفصح والأطلق لسانا، كما وصف نفسه (أبوليوس، 2004). لكن دروس الريتور لم تشف غليل أبوليوس في طلبه للعلم، وأيقن أن تكوين المثقف لا يكتمل إلا بالإقبال على التعاليم الفلسفية والسفر إلى بلاد اليونان. ولم يقتصر على تعاليم المدرسة الأفلاطونية هناك، بل اجتهد في فتح آفاق معارفه ومهاراته بالتتلمُذ على أتباع المدرسة الأرسطوطاليسية (aristotélisme)، وطمح لمحاكاة السفسطائيين في قدرتهم على الإحاطة بالعلوم مهما اختلفت ميادينها، وعلى الآداب والفنون بأنواعها، حتى شملت موسوعة معارفه علوم الطبيعة، والهندسة، وعلم الفلك، والشعر والموسيقى. وأصبح يتمنى النسج على منوال كبار السفسطائيين في ذلك العصر، والسفر مثلهم من مدينة إلى أخرى تلبية لرغبة الجماهير المولعة بالاستماع إلى محاضراته. ولم يقتصر اطلاعه على الفلسفة والأدب، بل كان يتعاطى كذلك الطب والهندسة والعلوم الطبيعية والفيزيائية، ويدرس الموسيقى وعلم الفلك... (أبوليوس، 2017).

3.2. مكانته:

ينتمي أبوليوس إلى شمال إفريقيا، وهو واحد من الذين برزوا في ميدان الأدب اللاتيني، إلا أنه فاقهم جميعا، حسب بعض المحدثين، من حيث غنى معارفه وتنوع كتاباته، وبخاصة الكتابات القصصية والروائية. ومن ثم عُدّ أبوليوس بحق ممثل السرد اللاتيني الإفريقي، ووُصف بأمير خطباء إفريقيا وأكثرهم نفوذا وشهرة في عصره، حتى وإن أهمله معاصروه من الأدباء ولم يتحدثوا عنه (أبوليوس، 2004). كان أبوليوس خطيبا متمرسا يخطب في الجمهور العريض في عدد كبير من مدن شمال إفريقيا. كما عُدّ واحدا من أولئك السحرة المستعينين بالغيبيات والذين يُنعتون دائما بأنهم ضد المسيح. وعلى الرغم من كفاءاته تلك، لم يتقلد أي منصب رسمي في مجال القضاء، كما يخبرنا القديس أغسطينوس (هسوف، 2015).

4.2. تدينه:

تحول تعلُق أبوليوس شيئا فشيئا بالمسائل الفلسفية إلى شغف بالمسائل الدينية، ودفعه هذا الشغف المقترن بميله إلى التنقل والسفر وبحرصه على الاكتشاف والاطلاع عن كثب، إلى زيارة البقاع والمعالم الشهيرة في عدة بلدان شرقية، ومنها، حسبما يبدو من مؤلفاته، بلاد تيساليا Thessalia التي اشتهرت بالسحر والشعوذة. وهي بلاد تقع بالشمال اليوناني، حيث يقوم لوكيوس Lucius، بطل قصة "المسوخ Métamorphoses» أو "التحولات" (هسوف، 2015) بمغامراته الأولى. وزار كذلك جزر بحر إيجا، حيث ارتاد من دون شك معبد الإلهة اليونانية الكبرى هيرا Hera بجزيرة ساموسSamos، كما يدل على ذلك وصفه (أبوليوس هو الواصف) البديع لهذا المعبد في إحدى المحاضرات التي ألقاها بمسرح قرطاج. وزار أيضا آسيا الصغرى، حيث تجول ببلاد فريجيا Phrygia، وربما زار كذلك البلاد المصرية. وبلغ به الإصرار على البحث عن السند الديني الكفيل بضمان النجاة لروحه الحائرة والاستقرار لفكره المضطرب والطمأنينة لنفسه القلقة، التحق بصف العُبّاد المطّلعين على الأسرار الخفية، وهي أسرار لا تُكشف إلا لمن خضع لمقتضيات الطقوس التي كانت تقام بحرم البقاع المقدسة، منها خاصة حرم معبد ديميتار Déméter (إلهة الخصوبة عند اليونان) بمدينة إلُوزيس (Cèbe, (Eleusis (1989. كان لهذا كله دور حاسم في الصراع الذي كان قائما بين المسيحية والوثنية (أبوليوس، 2004). ويعد لوكيوس أبوليوس من المدافعين عن الخصوصية الإفريقية الشمالية (المغاربية) المتعلقة كثيرا بمعتقداتها وعاداتها في مواجهة الطقوس التي كانت تفرضها روما، تمجيدا وتبجيلا وتعبدا للقيصر (هسوف، 2015)، وكذا في مواجهة المدّ المسيحي (Monceaux, 1963). وهذا عكس الرأي القائل أن أبوليوس ترّفع عن اللغة الليبية القديمة (تيفيناغ) وعن اللغة البونية (Boissier, 1909)، إذ كيف يفعل ذلك وهو الذي تعلق بآلهتها؟

5.2. كتاباته:

لقد أنجز أبوليوس، في إطار مناخ قرطاج الثقافي، أعماله الفكرية والأدبية وكتابه ذائع الصيت "التحولات" أو "الحمار الذهبي". ويُعدّ هذا الكتاب من أهم الأعمال الأدبية التي وصلتنا وتُرجمت لعدة لغات، بالإضافة إلى كتب أخرى في الحياة وفي المذهب الأفلاطوني. وهي كتبٌ مهمة أغنت تاريخ اللغة اللاتينية بإفريقيا الشمالية خلال القرن 2م (هسوف، 2015).

كان أفولاي (أبوليوس) يرى نفسه فيلسوفا وعالما، خطيبا ورجل أدب، كتب الكثير (Apulée, 1924)، وسافر إلى أثينا وتشبّع بثقافتها ليصبح أكثر هيلينية من المجتمع الهيليني نفسه. كان يسلك مسلكا فلسفيا جديدا لما بعد الأفلاطونية، أو الأفلاطونية الجديدة حينئذ (هسوف، 2015). كان يفتخر بأنه كتب قصصا كالفيلسوف والشاعر اليوناني كسينوفان (زينوفانوس) Xénophanes (580ق.م-470ق.م)، ومسرحيات مثل الفيلسوف والشاعر الكوميدي إبيخارموس Epicharmos (550ق.م- 460ق.م)، وألّف شعرا مشابها لشعر الفيلسوف الشاعر أومبيدوكليس Empédocles (483ق.م-430ق.م)، وتراتيل تُماثل ما ألّفه الفيلسوف والحكيم اليوناني سقراط Socrates (470ق.م- 399ق.م)، وحوارات بزّت ما خلّفه الفيلسوف اليوناني أفلاطون Platon (428ق.م- 348ق.م)، وهجاء تفوق على ما تركه الفيلسوف والشاعر الكوميدي كراتاس Kratès (365ق.م- 285ق.م)، قائلا: " يمارس أبوليوسكم كل هذه الأنواع".

"Votre Apulée embrasse tous ces genres" (Apulée, 1924). "Your Apuleius embraces all these genres".

كما ألّف أيضا باللغة اللاتينية والإغريقية في الحساب والموسيقى والفلاحة.. (أبوليوس، 2004). وأهم مؤلفاته التي وصلتنا:

1.5.2. مؤلفات أدبية:

- **"الأزاهير Florida"**:

نُشر هذا الكتاب حوالي سنة 160م، وهو عبارة عن أنطولوجيا (مختارات) بها 23 قطعة من محاضراته وخطبه، وهي في الريطوريقا البيانية. وكان فيها أبوليوس مغرورا يفتخر بنفسه وعِلمه وجماله، وجعل من نفسه مفاخر المقاطعة. جمعها أحد المعجبين به .(Cèbe, 1989). كما جمع مناقشات شفهية في عدة مجالات. الكتاب بالأساس عبارة عن آراء كاتب مسافر باستمرار، بالمعنى المادي والمعنوي لكلمة السفر. (هسوف، 2015) . وفي كتابه هذا تناول أبوليوس موضوعات مختلفة يصعب تصنيفها لأنه لا يتقيد بالموضوع المطروح، بل يستغل فرص الاستطراد جميعها، ويجتهد في البحث بما يسمح له بعرض معلوماته الكثيرة المتنوعة، ويسحر المستمعين ببديع الكلام وعذب الحديث (Boissier, 1909)؛ فيحاضر تارة في الفلسفة، لكنه لا يجد حرجا في التخلص من النظريات الفلسفية والتأملات الفكرية لينتقل للنوادر الطريفة. ويحاضر تارة أخرى في أدب الرحلة، فيروي غريب المغامرات ويُمتّع مستمعيه بذكر عجيب الأخبار، لكنه يخلص بعد ذلك للحديث عن مشاهد الحياة اليومية وطريف الحوادث. وكان يقع عليه الاختيار لإعداد الخطب الرسمية في المدح والإشادة بولاة المقاطعة. كان يحاضر فيشد المسامع في بعض محاضراته بدقة وصفه لببغاء الهند (Cèbe, 1989) أو لتمثال بديع، ويسترعي الاهتمام في محاضرة أخرى بالحديث عن شؤونه الخاصة، كذكر مرض أصابه فاستوجب تردده على بلدة حمام الأنف (الليف) بتونس، وكانت تعرف باسم "أكوي برسياني Aquae» Persianae للاستحمام والاستشفاء. وهو مع ذلك شديد الإعجاب بنفسه مكتمل الثقة في مواهبه (أبوليوس، 2017).

- **الأبولوجيا "Apologia" (الاعتذار):**

نُشر هذا الكتاب حوالي سنة 150م (Monceaux, s.d.) أو حوالي سنة 158م-159م (Méthy, 2011). يعود سبب تأليف "الأبولوجيا" لتطورات عاشها أبوليوس عندما سمع صديقه وزميله في الدراسة بأثينا بونتيانوس سيسينيوس، بمرضه وهو بأويا (كان في طريقه للإسكندرية)، عرض عليه السكنى عنده مع والدته الأرملة الثرية إيميليا بودنتيلا، وكانت نية سيسينيوس من وراء هذه الدعوة إقناع أبوليوس بالزواج من والدته، ليحميها وثروتها من زوج طامع. كتم سيسينيوس الأمر إلى أن دُعي أبوليوس لإلقاء محاضرة في بزيليكا أويا، وسعد مستمعوه بما تجلى فيها من فصاحة لحد أن طلبوا منه أن يبقى بأويا ويصبح أحد أبنائها. هنا أفصح سيسينيوس بخطته لأبوليوس وأقنعه بالزواج من والدته. (أبوليوس، د.ت)

تم الأمر، وكان الزواج سعيدا في البداية، لكنه تعكر نتيجة المؤامرات التي دبرها أقارب إيميليا لخيبة مطامعهم في الاستيلاء على ثروتها. وشنوا حملة تشهير ضد أبوليوس انتهت باتهامه رسميا بسحر إيميليا لتقبله زوجا لها. قُدّم أبوليوس للمحاكمة في صبراتة، ودافع عن نفسه (أبوليوس، د.ت) أمام رئيس المحكمة البروقنصل مكسيموس كلوديوس Maximus Claudius (كان أحد أصدقائه). و"الأبولوجيا" هي الخطبة التي ألقاها أبوليوس في محكمة صبراتة، تجلى فيها ذكاؤه بشكل أدهش مستمعيه من أبناء الولاية ومكّنه من الفوز بالبراءة. لكنه رحل بعد ذلك مع زوجته إلى قرطاجة، حيث قضى بقية حياته يمارس صناعتي الطب والمحاماة، وكتابة الرسائل والخطب، وكان معظم ما كتبه بعد ذلك في الموضوعات العلمية والطبيعية (البرغوثي، د.ت).

دوّن أبوليوس في كتاب "الأبولوجيا" أو "الدفاع" أو "المرافعة" والذي يعرف كذلك بكتاب "السحر" أو في "موضوع السحر"، في صيغة أدبية، المرافعة التي تقدم بها دفاعا عن نفسه عند محاكمته بمدينة صبراتة. كانت التهمة خطرة لأن القانون الروماني كان يسلط على كل من يلجأ إلى السحر للنيل من غيره أشد العقاب، وذاك ما كان يطالب به أقارب بودنتيلا، وقد دعموا اتهامهم بذكر أحداث غريبة وممارسات مريبة تدعو إلى الشك والحيرة؛ كقيام أبوليوس بتشريح سمك عجيب الشكل (أبوليوس، د.ت). لكن أبوليوس اغتنم فرصة خلط خصومه بين الممارسات السحرية والتجارب العلمية التي كان يقوم بها في المخابر التي جهزها بمنزل بودنتيلا، عملا بمقتضيات بحوثه في علم الطبيعة أو في علم البصريات، فبيّن ببراعته المعهودة في استدراج السامع، وشرح بفصاحته المألوفة في التعبير والإيضاح أن ريبة خصومه وشكوكهم مردها إلى جهلهم بأبسط مقتضيات العلوم وتجاربها. غير أنه لم يقدم، في الرد على الاتهامات التي لا تخلط بين التجارب العلمية والممارسات السحرية، حججا متينة قوية توجب الإقناع، وتحتم الجزم بأنه لم يمارس فعلا الأعمال السحرية. هنا عوّضت براعة الحجة في كتاب "الدفاع" متانتها، ولطف الاستهواء ورونق الأسلوب وبلاغة التعبير أكسب الكتاب قيمته الأدبية (أبوليوس، 2017).

منحت "المرافعة" أو "الدفاع" معلومات حول مؤلفها، حول السحر وحول الحياة بإفريقيا في القرن 2م (Boissier, 1909) (Cèbe, 1989). وكتاب "Apologia" هو في الريطوريقا القضائية، يدافع فيه أبوليوس عن نفسه بحرارة إثر اتهامه بالشعوذة، ويكشف القناع عن إحساس حاد بقيمه الشخصية. كما أنه سيرة ذاتية تمد القارئ بمعلومات عن قناعات واعتقادات الكاتب أفولاي وموطنه إفريقيا خلال تلك الفترة. كل هذا يتم تحت قناع بلاغي من حيث التعبير، يعرض فيه الكاتب للأنا المغاربي مقابل الآخر اللاتني-الإغريقي (هسوف، 2015).

2.5.2.مؤلفات فلسفية:

- **"حول إله سقراط""de deo Soctrates":**

يتطرق فيه أبوليوس لعالم الأرواح والجن، لأن الآلهة لا تغادر السماء، والبشر مستقرون في الأرض، والاتصال والتبادل بينهم منعدم لو لم تكن هناك طبقة من كائنات وسيطة مهمتها تنظيم العلاقة بين الأرض والسماء (رمضاني، 1998). شخصيات غريبة يقدمها الكاتب تجد مكانها في العالم

الإلهي وعالم البشر. شخصيات من ثلاثة أنواع: أرواح داخل جسد، أرواح تحررت من الجسد وأرواح لم يسبق لها أن سكنت الجسد المادي. ورغم أن نص الكتاب يبحث عن الجوانب الروحية عند سقراط، إلا أنه دعوة صريحة للبحث عن الحكمة (هسوف، 2015). والحكمة الفلسفية أفضل كنز في حياة الإنسان (أبوليوس، 2004). وكان الأصح أن يكون عنوان الكتاب "حول إله أفلاطون" لأن هذا الأخير كان يتحدث في محاوراته عن أفكاره دائما بلسان سقراط (Gostensky, s.d.).

- **"عن أفلاطون وعقيدته""de Platon et eiusdogmate":**

يتعرض فيه أفولاي للأمور الأخلاقية والمادية. الكتاب عبارة عن قراءة مراوغة لمسألة الأخلاق عند أفلاطون (هسوف، 2015). يشك بعض الدارسين في نسبته له لأنه لا يتحدث فيه عن الفلسفة من وجهة النظر الأفلاطونية، وإنما من وجهة نظر أتباع الفلسفة الأرسطوطاليسية والأبيقورية (أبوليوس، 2004). وفيه وضع أبوليوس، لأول مرة في تاريخ المنطق، مصطلح "قضية" "Proposition" (ميس، 2010). ورغم تأثر أبوليوس بالفيلسوف اليوناني أرسطو (384ق.م- 322ق.م) والمذهب الفلسفي الهلينستي الرواقية معا، فإنه لم يتردد في انتقادهما جميعا. وأثّر هو الآخر في الدراسات المنطقية إلى حدود القرن 14م. واعتبر كتابه هذا أول كتاب في المنطق الصوري باللغة اللاتينية (أبوليوس، 2004).

3.5.2. مؤلفات علمية:

لم يبخل أبوليوس عن عرض معلوماته ومهاراته بالمحاضرة أو بنشر الكتب، متباهيا بها متقبلا لإطراء المادحين وإعجاب الجماهير، فكانت آثاره عدة ومتنوعة. لكنه اقتصر في ميدان العلوم على جمع المعلومات أو على تصنيفها وتلخيصها، فألف كتبا كثيرة فُقدت ولم يبق إلا ذكرها في بعض آثاره أو في بعض المصادر اللاحقة. وقد تناولت خاصة مسائل في العلوم الطبيعية، نذكر منها كتابا يعنى بالأشجار المثمرة وبغراستها، وآخر بوقاية الزراعة من الآفات وعلاج أمراض النبات، كما تناولت كتبه كذلك مسائل في الطب وفي علم الفلك وفي مجالات علمية أخرى... (Cèbe, 1989) . من هذه الكتب نذكر كتابه "في علم الحساب" "Arithmética" وآخر "في علم الفلك" "Astronomica"، أشار لهما الكاتب اللاتيني كسيودورس Cassiodore (حوالي 487م- حوالي 585م) والمؤرخ الإشبيلي إيزيدورس Isidore (حوالي 560م- 636م)، لكنهما ضاعا. كما لأبوليوس كتب في الفلاحة ذكرها مؤلفون قدماء لكنها ضاعت أيضا. أما في الطب فلديه كتاب "في علم الطب" "Medicinalia"؛ وهو في الفيزيولوجيا والطب، إذ كان يعرف أعراض الصرع ومارس التنويم المغناطيسي بإتقان حتى اتهم بالسحر (ميس، 2010). ولخص كتابه "عن العالم" "de Mundo" رأي أرسطو في الكون. ويمثل هذا الكتاب بصورة غريبة ما وصلت إليه العلوم الطبيعية في القرن 2م. وهو كتاب يتعرض لعلم الفضاء وموضوع الدين (أبوليوس، 2004). وهو الكتاب العلمي الوحيد الذي وصلنا، وصف فيه السماء والنجوم والمحيطات وبعض الظواهر الطبيعية (Cèbe, 1989).

لكن أهم عمل لأفولاي هو كتابه:

3. "الحمار الذهبي":

أقدم قصة (كاملة) وصلتنا مكتوبة على شكل نثر في تاريخ الأدب الإنساني (ميس، 2010). وهي قصة إنسان يهتم بالسحر، ويحب أن يتحول إلى طير، لكنه يتحول إلى حمار (أبوليوس، 2004). نُشرت حوالي سنة 170م. وجاء العنوان في حالة المفرد لا الجمع "أحد عشر كتابا في التحول" "Metamorphoseon Libri XI " (أبوليوس، 2004). عرفت الرواية أيام القديس أغسطينوس باسم "الحمار الذهبي" "Asinus aureus"، وعرفت باسم "التحولات" في حالة الجمع في الدراسات الأوروبية، وترجمت للغة العربية تحت مسمى "تحولات الجحش الذهبي" (أبوليوس، 2004).

تفرغ أبوليوس لتأليف هذا الكتاب، وبه وضعه تاريخ الفكر في مصافّ كبار الكتاب الخالدين. في هذا الكتاب اتخذ الرواية طويلة النفس وسيلة لوصف الأوضاع الاجتماعية وانتقادها في سخرية حينا، وفي شدة وصرامة أحيانا. فدافع عن المستضعفين، وطرق بكيفية غير مباشرة موضوعات فلسفية، مظهرا نزعته الصوفية، وتشوُفه إلى الديانات (المشرقية النشأة ولولوعه بعبادة الإلهة المصرية "إيزيس Isis")، فوُصف بالنوميدي المزعج، و"لكن اعترف له بصدق التعبير وبالبراعة في فني القصص والكلام، وكان هو نفسه يصرح بأنه تأثر في عمق بالفكر اليوناني" (شفيق، 1988). ويظهر جليا أن ثراء الخيال ومهارة المزج بين الواقع والعجيب، وبين الطريف والمرن، مع تباين (تدرج) الأسلوب، كل هذه المزايا جعلت الرواية جديرة في كل الأحوال بسمعة صاحبها (Apulée, 1924). وإذا كان كتاب "المرافعة" وكتاب "الأزاهير" كافيين ليبرزا لنا أبوليوس المحاضر بقرطاج، فإن"الحمار الذهبي" منح هذا الروائي الإفريقي مجدا امتد لعصرنا (Monceaux, s.d.).

1.3. ملخص الرواية:

هذه الرواية عبارة عن توسُع غريب لقصة ضاعت، رواها لوكيوس البتراسي Lucius de Patras، وهو شخصية لا نعرف عنها سوى أنه إغريقي عاش في القرن 2م. تروي قصة "الحمار الذهبي" مغامرات رجل انقلب حمارا. وتتألف من سلسلة غير مرتبطة من الأحداث، والوصف والحوادث المحشورة فيه حشرا، يتخللها السحر والرعب والفحش في القول، والحديث عن التقوى والمرجأ (البرغوثي، د.ت).

هذه الرواية ذات طابع ملحمي عجائبي (فانطاستيكي)، حيث تعتمد على فكرة المسخ وتحويل الكائن البشري إلى حيوانات أو أشياء على غرار الإبداعات اليونانية. إذ يتحول لوكيوس في هذه الرواية إلى حمار بسبب خطأ حبيبته فوتيس Photis(كان يحبها كثيرا) حينما ناولته مادة دهنية هي مِلك

سيدتها بامفيلا Pamphile (زوجة ميلون Milo الذي استضاف لوكيوس في بيته). كانت بامفيلا تمارس السحر في غرفتها السرية، وبهذه المادة الدهنية يتحول الكائن البشري إلى أنواع من الطيور والكائنات الخارقة التي تجمع بين الغريب والعجيب. وعندما سمع لوكيوس الشاب أسرار سحر هذه المرأة، دفعه تطفله وفضوله إلى أن يطلب من فوتيس جلب دهن الساحرة ليجربه قصد التحول إلى طائر ليبتعد عن الناس ويهاجر إلى عالم المثُل، بعيدا عن عالم الفساد والانحطاط البشري. أخطأت فوتيس وجلبت له مادة دهنية سامة تُحوّل الإنسان إلى حمار. وبعد مغامرات صعبة ذاق فيها لوكيوس أنواعا من العذاب والهلاك، وتعرّف عبرها على مكائد البشر وحِيلهم، يعود إلى حالته الآدمية الإنسانية بعد أن تدخلت الإلهة "إيزيس" لتجعله راهبا متعبدا وخادما وفيا لها (حمداوي، 2010).

يروي لوكيوس، بطل القصة، كيف طاف في تساليا واستمتع بها بعدد من الفتيات، ووجد نفسه أينما حلّ في جو من السحر. يدهن نفسه بمرهم سحري وهو يريد أن يصبح طائرا، لكنه استحال حمارا له إحساس الإنسان وإدراكه، ويلقى الكثير من المحن، وكان عزاؤه أذنيه الكبيرتين اللتين كان يستطيع بفضلهما أن يسمع أي شيء ولو عن مسافة بعيدة. وقيل إنه سيعود إلى طبيعته إذا عثر على وردة وأكلها. وهو ما يدركه بعد أن يمر بطائفة كبيرة من الحظوظ الحمارية، منها ما هو طيب ومنها ما هو سيّئ. ثم كره الحياة، ولجأ أولا إلى الفلسفة، ثم إلى الدين (البرغوثي، د.ت). وتتمثل لحظة إعادة التوازن بعد أن عرف لوكيوس الحمار تجارب عديدة، سواء أكانت مُرة أم حلوة، مع الرهبان السوريين والطحان والبستاني والجندي والأخوين الطاهيين، إلى أن أنقذه من هذا المسخ الحيواني كاهن متعبد، حدّثه عن قدرة الإلهة "إيزيس"، مما دفع البطل إلى أن يناجيها في أثناء المنام كي تخلصه من هذه الورطة العويصة، ليتحول بعد ذلك إلى كينونته البشرية، ويصبح خادما وفيا لمعبد الإلهة، يخدمها بتفان وإخلاص، ومن ثم أصبح راهبا فكاهنا كبيرا بعد أن ترقى في مراقي العبادة واكتشف أسرار "أوزيريس Osiris" (حمداوي، 2020) (إله البعث والحساب وزوج إيزيس عند قدماء المصريين). وألف دعاء يشكر فيه "إيزيس" (البرغوثي، د.ت).

إن كتاب "التحولات" منوع وطريف، مليء بتفاصيل العادات والأعراف، "حيث الفحش يتناوب والحماس الديني"

« l'obscénité alterne avec l'exaltation religieuse » « obscenity alternates with religious exaltation»،

يُعد اليوم هذا الكتاب من بين الكتب القليلة جدا التي نقرأها دون ملل (Julien, 1951).

2.3. تحليل الرواية:

بعد انتقال لوكيوس الحمار من يد إلى يد، وكشفه في مغامراته على كثير من خبايا البشر وقصصهم وحوادثهم وتجاربهم، وبعد تعرّفه على الفسق الآدمي والظلم، في مخاطرات كثيرة إلى درجة كرهه للإنسان الذي انحط انحطاطا خلقيا، يعود إلى حالته الأولى على يد كاهن كان يحرس معبد الإلهة "إيزيس". ويُعبّر تحوُل لوكيوس إلى حمار عن فكرة المسخ الحيواني والعقاب القاسي لكل متطفل فضولي لم يرض برزقه وبشريته، كما يحيل على ذلك الجزاء الذي يستحقه الزُناة ومنحطو الأخلاق، لأن لوكيوس دخل في علاقات جنسية غير شرعية مع خادمة مضيفه ميلون، وقد يدل هذا المسخ على انحطاط الإنسان وعدم سموه أخلاقيا. ولن يعود البطل إلى حالته البشرية إلا بعد التوبة والدعاء باسم الآلهة والتخلص من نوازعه الإيروسية (إيروس Eros: إله الحب والرغبة والجنس في الميثولوجيا الإغريقية) وانفعالاته البشرية العدوانية، وتدّخُل المنقذة "إيزيس". لذلك نلقى الكاتب يشيد بـ"إيزيس"، الإلهة المخلِّصة وبالديانة الشرقية، وفي الوقت نفسه يُسفِّه الديانات الرومانية وانحطاطها الأخلاقي (هسوف، 2015)، ويشير إلى نفوره من الديانة المسيحية بصورة قاطعة (أبوليوس، 2004). وأكثر من ذلك يهجو وينتقد ويسفّه بعض العادات والتقاليد السائدة في عصره. وقد آل هذا التحوُل الفانطاستيكي إلى معنى رمزي يجسد انحطاط الإنسان ونزوله إلى مرتبة الحيوان، عند استسلامه لغرائزه وأهوائه الشبقية وانفعالاته الضالة. بيد أن النجاة في الرواية لن تتحقق سوى عن طريق المحن والابتلاءات والاختبارات المضنية والاستعانة بالتوبة واسترضاء الآلهة (حمداوي، 2010).

يبدو النص في جوهره وكأنه احتفاء وتبجيل لديانة القرطاجيين الذين كان كثير منهم يعبد "إيزيس" إلى جانب "فينوس Venus" (إلهة الحب والرغبة والجنس والخصوبة والرجاء والنصر في الميثولوجيا الرومانية). "الحمار الذهبي" ليس قصة واحدة، بل قصص منوعة وعديدة، وكل واحدة منها مستقلة بذاتها ولكنها كلها في رواية واحدة. وهذا الكتاب مُقسم إلى أحد عشر بابا، كما أشرنا أعلاه، كل واحد من هذه الأبواب هو امتداد للرواية، وهو في الوقت نفسه قصة في قلب رواية، مثل قصة "العقاب البشع"، وقصة "العاشق المتخفي"، وقصة "التنين"، وقصة "الطحان"... وغيرها من القصص المتناثرة على صفحات هذه الرواية. وحين يحس أفولاي أو أبوليوس بالظمأ الفني يلجأ للميثولوجيا. (هسوف، 2015)

في النهاية ينجو لوكيوس، بفضل الربة "إيزيس" في الفصل الحادي عشر وهو الأخير، من الدنس الذي أصابه ومن حقارة الحيوان ووضاعته ليرتقي من جديد إلى مرتبة الإنسان، ويختم الرواية بابتهال متعبد يتملكه شعور ديني فياض، وبدعاء مؤمن متصوف يملأ قلبه الورع. إن ملاحظات أبوليوس وانتقاده اللاذع، ودقة الوصف لأوضاع المجتمع الروماني في القرن 2م؛ كأوضاع الأغنياء والفقراء، ومواقف أهل الخير والرحمة وأهل الشر والمكر، وجد فيها المؤرخ ما أحجمت كتب التاريخ عن وصفه من الأوضاع الاجتماعية (أبوليوس، 2017).

تعد رواية أفولاي "الحمار الذهبي" أول رواية قديمة وصلت إلينا كاملة، وشكّلت نوعا أدبيا جديدا، هو النوع الذي يعرف اليوم بالرواية (هسوف، 2015) الإطارية، التي تضم مجموعة من القصص من جهة، وبالرواية الأنوية أو الرواية التي يرويها المؤلف نفسه بضمير المتكلم من جهة أخرى، وهناك

العديد من الروايات الحديثة والمعاصرة التي كُتبت بالطريقة نفسها (أبوليوس، 2004).

يمكن القول إن هذه الرواية ضمّت مجموعة من القصص رواها المؤلف بضمير المتكلم. وإن كان أفولاي من ساكنة شمال إفريقيا القدماء، إلا أنه ليس هناك من شك أن روايته استمدت روحها من أنفاس يونانية. كما تُعد رواية "الحمار الذهبي" في واقع الأمر محاكاة ساخرة تنتمي إلى نموذج قصة المغامرات، ومن ثم يبدو أن التحول الساخر من إنسان إلى حمار له صلة بالجنس الأدبي، الذي يعتمد التحوُّل كنهج للتعبير النثري. إنها رواية تجمع بين السخرية والاستعراضية والفكاهية والهزلية الماجنة والنُكت والهجو اللاذع. لقد كتب أفولاي روايته بحرية متناهية غير مُقيد بالمعايير الصارمة، وهي لا تخلو من مشاهد القسوة والجريمة والغرابة والجنس المقنع من حين لآخر. كما أخذ أفولاي المصدر اليوناني على أنه إطار لإضافة حكايات أخرى تتخلل خط الرواية الرئيسية مثل ما فعل الكاتب المسرحي تيرنس Térence (حوالي 190ق.م- 159ق.م) في مسرحياته. لقد اعتمد أبوليوس، بالإضافة إلى المصدر اليوناني، على المصدر المحلي (المغاربي) فيما يتعلق بالمعتقدات الوثنية لذلك العصر (الأعمال السحرية التي كانت في الشمال الإفريقي)، وبهذا تجاوز المصدر اليوناني، عندما حلّ في نهاية الرواية محل بطله، وتحدث فيها عن حياته الخاصة، ففصل بذلك الحدث الرئيسي عن مجراه، واهتم بتمجيد عبادة الإلهة "إيزيس" التي كان يمجدها بعض سكان شمال إفريقيا، أين تجد معاناة البطل عند أفولاي حلّها في الأسرار المقدسة. إضافة لهذا نجد أسلوب الرواية مليئا بالعبارات الشعبية والاقتباسات الأدبية القديمة، ومتوفرا على المحسنات البلاغية وبعض من الشاعرية وكثير من المتعة، وقد خاطب أفولاي القارئ عند تقديمه للرواية قائلا: "انتبه أيها القارئ! ستنال حظك من التسلية":

« Attention, lecteur ! Le plaisir est au bout » (Apulée, 1865). « Attention, reader ! The pleasure is at the end ».

إن رواية "الحمار الذهبي" رواية قديمة ارتبطت بالغيبيات والسحر... (هسوف، 2015). وهي رواية المسخ والتحول من حيث المضمون، ورواية فانطستيكية (عجائبية) خيالية ورمزية من حيث الشكل (حمداوي، 2020). وكان دافع أفولاي في روايته هو فضوله عند ملاحظة مجتمعه، فدوّن تفاصيل العادات والتقاليد، وحلّل انطباعاته حول الطبيعة الإنسانية أو ما يُعرف بالتراجيديا- الكوميديا الإنسانية. في النهاية جعلته الأسرار الماورائية فريسة لديانات الشرق الغريبة، وللعلوم الباطنية (الخفية)، وكانت هذه أصول كتابيه "الحمار الذهبي" و"المرافعة" (Monceaux, s.d.).

3.3. نقد رواية "الحمار الذهبي" ومؤلفها:

ليس لكتاب "المسوخ" أو "التحولات" مغزى في نظر بعض المؤرخين والنقاد، إذ يعدّ مجرد سلسلة من الحوادث والمغامرات التي يفسح أبوليوس في رواياتها وقصصها المجال لوصف مجتمع يتدفق حيوية. لكن النقد الحديث يُؤثر البحث في مغزى قصة لوكيوس وفيما قد يشير إليه الكاتب من ورائها (أبوليوس، 2017). ولا يمكن أن نفهم معنى "التحولات" من دون معرفة أفكار أفولاي الفلسفية (Gostensky, s.d.).

إذا كانت رواية "الحمار الذهبي" ليست عملا إبداعيا لأنها قامت على مصدر يوناني، هو لوكيوس البتراسي، هذا لا يعني اعتبارها مجرد ترجمة، لأن أبوليوس تجاوز مصدره (الإغريقي) من ناحيتين؛ أخذ مصدره اليوناني على أنه إطار لإضافة حكايات مماثلة تخترق مسير الحدث، ولا تُنظم على الحدث الرئيسي غالبا إلا بصورة آلية (أبوليوس، 2004) (رمضاني، 1998). ويعتبر المؤرخون والنقاد الرواية كتابا ذا أهمية كبيرة لكونه النسخة الوحيدة للأدب الرومانسي الناطق باللاتينية (اللاتينوفوني)، بل يوجد من عدّه أول قصة (كاملة) مكتوبة على شكل نثر في تاريخ الأدب الإنساني (ميس، 2010).

إن رحلة لوكيوس هي رمز لإمبراطورية مثالية جديدة، حتى وإن سيطرت عليه (الرمز) المبالغة والفنطاستيكي، كما لا يمكن أن يكون منفصلا كله عن الإطار بمعناه الواسع، ولا منفصلا عن كتابته. وعلى الرغم من مكانة الخيال في الرواية فإن "الحمار الذهبي" أو "التحولات" ليس كذلك في عالم القرن 2م، الذي كان حاضرا تحت عدة أشكال ومستويات. واللافت للنظر أن أبوليوس لم يكن في روايته إفريقيا ولا محليا فقط، بل كان عالميا شاملا (Méthy, 2011).

لقد برع أفولاي الإفريقي (المغاربي) في استحضار الخيال المدهش والأسطورة، ليروي لنا قصة لم يتوصل النقاد للإمساك بجميع تفاصيلها وخيوطها، فهو ينتقد الوضع السياسي في روما مستحضرا كل ما يخالج الفرد من ثنائيات: الحب والكره، التضحية والخيانة، الوفاء والغدر، الفضيلة والرذيلة، الاحترام والتطاول، الدراما والكوميديا، الإيمان والتحرر... كما جمع أفولاي في روايته بين شخصيات متناقضة أيضا: الغني والفقير، القرصان والفلاح، العسكري والتاجر، الغانية والمتعففة، الساحرة والمؤمنة... إنها رواية تبحث عن حقيقة الأشياء عبر النظر إليها من زوايا مختلفة (لوكيوس الإنسان ولوكيوس المتخفي في دور الحمار) (هسوف، 2015). لقد سبق أبوليوس (الإنسان) عصره في التعبير عن المآسي البشرية وآلامها، عند وصفه في "الحمار الذهبي" عمال الطاحونة، أو بؤس الزوج الفقير المخدوع (أبوليوس، 1999). لقد تناولت الرواية الحياة العامة المغاربية ووصفتها وصفا دقيقا، واستعرضت الشخصيات البارزة القارة أو المباغتة في كل مجتمع (الكعاك، د.ت). ورواية "الحمار الذهبي"، في النهاية، هي قراءة انتقادية ساخرة للمجتمع الروماني (والمُرومن)على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية جميعها، وتجاوزت هذه القراءة "الوعي البشري، ونقبت داخل المخبأ وداخل اللاوعي (الباطني)، وينبغي قراءة "الحمار الذهبي" قراءة متأنية في سياق انهيار العقل واضمحلال المركزية الرومانية وتفككها بحيث لم تعد روما هي معبد الثقافة، ولكنها انسحبت أو بدأت تفعل ذلك تاركة مكانها لمناطق أخرى مثل أثينا". (أبوليوس، 2004)

لقد كان أفولاي شخصية متناقضة، كما اتضح ذلك من "الحمار الذهبي"، شخصية اجتمع فيها الزهد بحب مسرات الدنيا، والجد بالهزل، فكانت

صورة لعصره المريض المضطرب (أبوليوس، 2004). لقد لحقت أفولاي لعنات من مسقط رأسه لفترة طويلة، وتم تشويه كتابه "حول السحر" (المُشار إليه أعلاه) وعلاقته بالقوى الخفية، كما وضع في خانة أعداء المسيح خلال صراع الوثنيين ضد المسيحيين في القرون الأولى للميلاد. وتكمن المفارقة في أن خلفاءه (المباشرين) في الأدب كانوا أكثر أعدائه شراسة خوفا على سلامة دينهم (المسيحية). ونكتشف، بمنظور عصرنا، الوجه الغامض لأفولاي؛ فهو متدين في استهزاء وسخرية، واقعي في خياله، اتُهم بالسحر في حياته وبعد وفاته. ورغم هذه الصورة فقد وجدت أعماله قراء واعين بدوره كأديب. لقد قابله الوثنيون بالمسيح (وهو أكبر صانع للمعجزات)، كما طارده المسيحيون معتبرينه ساحرا وساووه بالمسيح الدجال (Monceaux, s.d.). كان أبوليوس رعية رومانية، تلميذا معجبا بالفكر اليوناني متحمسا له، وراهبا وثنيا عدوا للمسيحية، وهو بهذا خلاصة عصره (أبوليوس، 2004).

4. المكانة في الأدب العالمي:

يعد أفولاي أو لوكيوس أبوليوس روائي العصور القديمة الأول ومؤسس الرواية، لا بمعنى السرد وإنما بالمعنى الاصطلاحي الذي يتشكل من بطل وأحداث وعقدة وشخصيات وفضاء وزمن. هذا الفن الذي صار بعد ذلك نمطا أدبيا متميزا عن غيره من الأجناس الأدبية وهو فن الرواية (هسوف، 2015). كانت شهرته من الاتساع بحيث اعتبر اسمه لافتة نموذجية لبيع المنتجات الأدبية في الأسواق (أبوليوس، 2004). والرواية بقِدمها وسبقها وانتشارها في أوروبا كانت مصدر إلهام لا يُنكر في "ديكمرون" "Decameron" للإيطالي جيوفاني بوكاتشيو Boccaccio (1313م-1375م)، و"حكايات كنتربري" " The Canterbury Tales" للإنكليزي جيفري شوسر Chaucer (1343م-1400م)، ورواية "دون كيشوت" "Don Quijote" للإسباني ميڤال دي سرفانتس Cervantes (1547م-1616م) (أبوليوس، 1999).

وعلى الرغم من أن رواية "الحمار الذهبي" تغرق في الغيبيات وتبتعد عن العقلانية، إلا أن وصف الكاتب لحياته كحمار كان إبداعا، فيه شَبه لرواية الكاتب النمساوي فرانز كافكا Kafka (1883م-1924م) الذي اعتمد تقنية المسخ، إذ يتحول بطله في إحدى رواياته، التي تحمل نفس العنوان "التحوُل"، إلى صرصار. لكن الفارق طبعا، وإن لم يكن إبداعيا، لأن الروايتين في قمة الإبداع، الفارق هو أن أفولاي المغاربي سبق كافكا النمساوي بما يقارب ألفي سنة (هسوف، 2015). ويظهر تأثر فرانز كافكا برواية أفولاي على المستوى الغرائبي في روايته "التحول"، في بداية رواية كافكا (حمداوي، 2010) بالعبارة التالية: "إذ استيقظ غريغور سامسا ذات صباح، على إثر أحلام سادها الاضطراب، وجد أنه قد تحول، وهو في سريره، إلى حشرة عملاقة" (كافكا، 2015).

إن رواية أفولاي "الحمار الذهبي" سواء كُتبت باليونانية أم باللاتينية أم باللغة المحلية (التيفيناغ)، فإنها إبداع عالمي يعبّر عن هوية مغاربية نوميدية. وقد أثّرت عجائبية هذه الرواية الفانطاستيكية على الأدب القديم والأدب الإسلامي والرواية الغربية الحديثة والرواية العربية المعاصرة ولاسيما المغاربية منها (حمداوي، 2010). إن الأدب المغاربي القديم كان متقدما يضاهي وينافس أدب الشعوب المجاورة، لكنه تعرض لطمس شديد بفعل الهجمات المتتالية التي تعرضت لها منطقة شمال إفريقيا (حمداوي، 2010). ويبرز مدى أثر رواية أبوليوس في الكتابات اللاحقة في القول التالي: "إن شعر "اعترافات" القديس أغسطينوس العميق (النافذ) كانت بذرته في "الحمار الذهبي"".

"La pénétrante poésie des «Confessions» d'Augustin est en germe dans «L'âne d'or" (Monceaux, s.d.).

"The penetrating poetry of Augustine's "Confessions" is germinated in "The Golden Donkey"".

5. مغاربية أبوليوس:

يُعد أفولاي من أكثر الكتاب اللاتين حداثة، كان روائيا وفيلسوفا وخطيبا. كان يردد أنه نصف نوميدي نصف جيتولي. وهو اللاتيني الذي لم يتبرأ من أصوله مع بعض الخيلاء، كما حصل على مجد كبير (Camps, 1987). كان أفولاي يعتز بمدينته وبلده، ذكر في "المرافعة" أنه نصف نوميدي نصف جيتولي (أبوليوس، د.ت). وعرفه الأفارقة كرياضي، فيزيائي، منطقي، محامٍ، خطيب، مؤرخ، فيلسوف، عالم فلك، طبيب وأديب، لكنه اشتهر بكتابه "التحولات"، رغم كل هذا العلم. وأول من ذكر هذه الشهرة ابن بلده القديس أغسطينوس الذي استغرب عدم شغل أبوليوس أي وظيفة في مجال العدالة في مدينته، لكن الراجح أنه لم يهتم للوظيفة، فقد كان الناس يرونه أعظم خطيب في وقته، وكانت بلده فخورة به. بماذا كانت ستفيده الوظيفة؟ (Apulée, 1924). نُحت له تمثال بمدينته مادورس وآخر ببيزنطة وآخران بقرطاج، لكنها اندثرت (ميس، 2010).

لا ينحدر أفولاي من الكولون (المستوطنين) الرومان بل أصوله محلية. لم يحاول حجب أصوله الإفريقية، حتى في أعماله الموجهة للرومان (قضاة ورجال قانون). كان أبوليوس يدافع عن مصالح إفريقيا عندما أصبح الكاهن الأكبر لمقاطعة إفريقيا، وكان مترجم انشغالات السكان المحليين أمام السلطات الرومانية. ولم تكن أصوله الإفريقية سبب ذلك، بالعكس كان ذلك للتقليل من الطبيعة الصادمة لهذه الأصول (بالنسبة للرومان) ولإزالة الأحكام المسبقة التي تثيرها هذه الأخيرة (يمكن تشبيه الأمر بنظرة الكولون للجزائريين خلال الاستعمار الفرنسي للجزائر). وترمي هذه الحالة الدفاعية لمحو ما يميز الإفريقي عن المواطن الروماني من اختلافات وإبراز كل ما يجمعهما، وإن كان اصطناعيا. ودليل ذلك أن أفولاي كثيرا ما ذكر أنه يكتب لجمهور روماني (ذي ثقافة لاتينية). ولم تكن إفريقيا بالنسبة له سوى ارتباط جغرافي، متجاهلا لأعرافها وعاداتها، وكأنه ترّفع عن ذكرها. ضف لذلك اعتباره الحديث بالبونية عيبا (Méthy, 2011)، وانحطاطا أخلاقيا، ما يدل حسبه على عادات هابطة (أبوليوس، د.ت). كما لم يتحدث أبوليوس عن

"وطن" بل كان حديثه دائما عن مستعمرة (أبوليوس، د.ت)، أي أن وطنيته "وطنية" رومانية مستخلصة من مجد روما والانتماء للرومان، أكثر منها "وطنية" محلية (مغاربية). وانتماء أفولاي هذا هو انتماء للمقاطعة (provincial) التي كانت ترمز عنده لمسقط الرأس وللمكان الروماني. والقصد هنا أن هذا الانتماء هو "وطنية" غربية (occidental)، مثل تسمية الشخص الفرنسي بالغربي (Méthy, 2011).

لكننا وجدنا رأيا آخر معتدلا مقارنة بالرأي السابق، مفاده أن أفولاي كان يرى نفسه في ثلاث حلقات، الأولى محلية على اعتبار مسقط رأسه مادورس التي انضم لها بكل تاريخه، والثانية رومانية بوصفه مواطنا، أبوه شغل مناصب إدارية في المقاطعة الرومانية، والثالثة كونية (عالمية) بوصفه فيلسوفا. وهي حلقات تتداخل من دون أن تتعارض (Ponsart, 1999).

ويوجد رأي ثالث مخالف تماما للرأي الأول، مفاده بقاء إحساس عميق وشخصي لأفولاي وهو انتماؤه لوطن الجيتول (نوميديا) الواسع، وأن ما ألّفه يسمح بإيجاد أهم أدوات الهوية الجماعية ... في تقبُل أولا ومطالبة بالاعتراف بماض ثانيا، بما فيه ماضي خصوم روما.

"Cependant subsiste encore un sentiment intime, personnel, celui de l'appartenance à la vaste et illustre nation Gétule (ou Numidie) ... Ce passage d'Apulée permit de retrouver les principaux vecteurs d'identification collective, mythes et histoire, généalogie et fierté familiale, dans une acceptation, voire une revendication, de la globalité d'un passé, adversaires de Rome y compris" (Ponsart, 1999).

"However, there still persists an intimate, personal sentiment, that of belonging to the vast and illustrious Gaetuli (or Numidia) nation... This passage by Apuleius allowed the rediscovery of the main vectors of collective identification, myths and history, genealogy and family pride, in an acceptance, even a claim, of the entirety of a past, including adversaries of Rome".

يمكن القول، بعد عرض هذه الآراء، أن أبوليوس إفريقي الأصل والمولد، هيليني الثقافة، روماني الجنسية، لكنه لم يأخذ عن اليونان أخذا ساذجا، بل كان أصيلا. وقد اشتهرت شخصيته خلال العصور القديمة والوسطى في الغرب المسيحي. كان شغوفا بمعرفة كل شيء، ولوعا بالسفر. شهد مؤرخو الفكر القديم أن لديه موهبة كبيرة وذكاءً خارقا. امتلك الثقافتين اليونانية والرومانية إضافة لثقافته المحلية والبونية (ميس، 2010). نتيجة لذلك فإن أعمال الليبيين (القدماء أي المغاربيين) أعمالٌ ليبية (مغاربية) وليست رومانية، وما اعتبارها رومانية، سوى لأن ليبيا (القديمة) كانت مستعمرة رومانية:

"Les œuvres des écrivains libyens ne sont pas romaines, mais libyques. Si on doit les tenir pour romaines, c'est seulement parce que la Libye est devenue province romaine" (Gostensky, s.d.).

"The works of Libyan writers are not Roman, but Libyan. If they are to be considered Roman, it is only because Libya has become a Roman province"

لقد كتب أبوليوس باللاتينية لأن اللاتينية كانت لغة المستعمر وليس لأن اللغة الليبية أو البونية قاصرتين (Julien, 1951). وتبيّن مما سبق، وبمصطلحات اليوم أن هوية أبوليوس جزائرية المولد، إفريقية المنبت، مغاربية (أمازيغية) الأصل، ولكنها كانت رومانية الجنسية، إغريقية الثقافة والفكر وشرقية المعتقد (حمداوي، 2020). كما تهاون أفولاي في جمع أفكاره، لكنه خلق نظاما فلسفيا كاملا متناسقا (Gostensky, s.d.). وكان مرتبطا في أعماله الجوهرية بالأصول اليونانية، وكان يشعر بالسرور والافتخار، كما ذكر في "الأبولوجيا"، كلما استطاع أن يقدم للرومان كلمات يونانية جديدة كانوا يجهلونها (حمداوي، 2020).

وقبل الخاتمة نشير لرأي مفاده أن عنوان رواية أبوليوس الأول هو "asinus aureus"، وكلمة أسنوس المحلية (الأمازيغية) تعني الحمار في اللغة العربية، وما تزال عائلات كثيرة في شمال إفريقيا تحمل لقب أسنوس الذى تحوّل إلى السنوسي مع دخول "ل" التعريف العربية وهمزة الوصل (أحمد، د.ت).

خاتمة:

تعرفنا في هذه الورقة العلمية المقتضبة جدا على شخصية أبوليوس المادوري وعلى مكانته في الأدب اللاتيني، ومساهمته في الأدب العالمي بأول رواية نثرية في تاريخ الأدب الإنساني "الحمار الذهبي" وصلت إلينا كاملة. ولا يعرف أبناء الشمال الإفريقي أفولاي ومكانته في الأدب العالمي إلا من شذّ من الباحثين. وسبب ذلك نسبة أعمال مثقفي المنطقة للمستعمِرين الذين حلّوا بها منذ العهود القديمة، وهو أمر بدأت دراسات حديثة، اعتمدت شروط الكتابة العلمية (من موضوعية ونزاهة وحيادية وأمانة علمية وتجرد...) تُنبه له، كما انتبه باحثون من أبناء المنطقة لهذا الأمر وبدأوا يسعون لنفض الغبار عن الأعمال القديمة لمثقفي الشمال الإفريقي، ونسبتها للمنطقة وليس للمستعمِر. وكما يُنسب كُتّاب مغاربيون ألفوا بالفرنسية (فرنكفونيين) لبلدانهم، مثل الكاتب الجزائري مولود فرعون (1913-1962م) في رائعته "ابن الفقير"، ومواطنه الأديب كاتب ياسين (1929-1989م) في رائعته "نجمة"،... فأغلب الذين كتبوا بالفرنسية خلال الاستعمار الفرنسي للمنطقة، خاصة منهم الجزائريين لأسباب تاريخية مرتبطة بطول فترة الاستعمار الفرنسي الذي دام 132 سنة بالتمام دون الكمال، وصفوا لنا الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية وأثر الاستعمار على العباد والبلاد. فهل تُنسب أعمالهم للأدب الفرنسي الغربي أم هي كتابات جزائرية مغاربية فراكفونية؟ وجب أن تكون نفس النظرة بالنسبة للأدب اللاتينوفوني خلال الاحتلال الروماني، ويجب إعادة الاعتبار للمكوِنات الثقافية القديمة لشمال إفريقيا، وأصبح تصحيح بعض الأغلاط في تاريخ المنطقة الفكري أمرا ضروريا. والمقصد هنا هو أن

نسبة الكتابات المغاربية اللاتينوفونية (بعد شيوعها الكبير) إلى شعوب اللغات التي كتبوا بها (الرومان) أمر لا يستقيم، على الباحثين المغاربيين تصحيحه بإعادة نشر أعمال باعتبارها مغاربية ناطقة بغير اللغات المحلية.

المصادروالمراجع

أبوليوس، ل. (1999). *تحولات الجحش الذهبي رواية*. (ط 4). (ترجمة: علي فهمي خشيم). د.بلد: مركز الحضارة العربية.

أبوليوس، ل. (2004). *الحمار الذهبي أول رواية في تاريخ الإنسانية*. (ط 3). (ترجمة: أبو العيد دودو). الجزائر- بيروت: منشورات الاختلاف- الدار العربية للعلوم.

أبوليوس، ل. (د.ت). *المرافعة أو دفاع صبراتة*. (ترجمة: عمار الجلاّصي). د. بلد: د. دار نشر.

أبوليوس. ل. (2017). في *الموسوعة التونسية المفتوحة*. من موقع http://www.mawsouaa.tn/wiki

أحمد، ف. (د.ت). الحمار الذهبي رواية للكاتب الأمازيغي أبوليوس يبعث من منبته *الأصلي*. في *موقع الرياض*. من موقع https://ww.tawalt.com

البرغوثي، م. (د.ت). *التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي (الجزء الأول)* . *د. بلد: أعده للنشر* تامغناست.

حمداوي، ج. (2020). *(الحمار الذهبي) لأفولاي الأمازيغي أول عمل روائي في تاريخ الإنسانية*. الناظور- تطوان: دار الريف للطبع والنشر الإلكتروني.

حمداوي، ج. (2010). *معالم الحضارة الأمازيغية*. (ط 2). المغرب: جميع الحقوق محفوظة للمؤرخ.

رمضاني، ر. (1998). لوكيوس أبوليوس (125-180م) . *مجلة الدراسات التاريخية*، 8 (2)، 18-21.

شرفي، إ. (د.ت). *تاريخ الحضارات القديمة السنة الأولى ثانوي*. الجزائر: المعهد التربوي الوطني.

شفيق، م. (1988). *ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الأمازيغيين*. الرباط: حقوق النشر محفوظة للمؤلف.

كافكا، ف. (2015). *التحوُّل*. (ترجمة: مبارك وساط) . بيروت- بغداد: منشورات الجمل.

الكعاك، ع. (د.ت). *البربر*. د.بلد: أعده للنشر تامغناست.

ابن ميس، ع. (2010). *مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة (دراسة في تاريخ العلوم الصورية وتطبيقاتها)*. (ط 2). الرباط: Editions IDGL.

هسوف، ع. (2015). لوكيوس أبوليوس أفولاي نُمداوروش حياة وأعمال مثقف أمازيغي. في *سيميا*. من موقع https://www.symiaconseil.dz

References

Apulée, L. (1924). *Apologie-Florides.* (texte établi et traduit par Paul Valette). Alger-Paris : Société d'édition Les Belles Lettres et Bibliothèque Petit Séminaire Saint Eugène.

Cèbe, J. P. (1989). Apuleius. In *Encyclopédie berbère.* Sur le cite http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2565.

Apulée, L. (1865). *L'âne d'or ou les métamorphoses livre 1.* (traduit par Désiré Nisard). s. pays : Atramente.

Boissier, G. (1909). *L'Afrique Romaine promenades archéologiques en Algérie et en Tunisie.* Paris: Hachette.

Camps, G. (1987). *Les Berbère : Mémoire et identité.* (2ème ed.). Paris : Éditions ERRANCE.

Gostensky, T. (s.d.). *Au sommet de la pensée la littérature antique de l'Afrique du Nord.* Marrakech : Librairie Chatr Ahmed.

Julien, Ch. A. (1951). *Histoire de l'Afrique du Nord des origines à la conquête arabe (647 AP. J.C.).* (2ème ed.). Paris : Payot.

Méthy, N. (2011). Un regard africain sur l'Empire ? Le monde de Romain dans les Métamorphoses d'Apulée, *Latomus : Revue d'études latines*, 70.

Monceaux, P. (s.d.). *Apulée Roman et magie*, Paris : Maison Quentin Compagnie Générale d'Impression et d'Édition.

Monceaux, P. (1963). *Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe*, *tome premier : Tertullien et les origines*. Bruxelles-Paris: Culture et Civilisation.

Ponsart, C. B. (1999). À propos de la mémoire africaine d'Apulée. L'Afrique du Nord antique et médiévale, identité et imaginaire, *Actes des journées d'étude organisées par le GRHIS. 10 mars 1999,* Rouen, France.

List of references

Ahmed, F. (n.d.). The Golden Donkey: A Novel by the Amazigh Writer Apuleius, originating from his original homeland, In *Riyadh website*. Retrieved from www.tawalt.com.

Al-Barghouti, M. (n.d.). *Ancient Libyan History from the Earliest Times to the Islamic Conquest (Part One)*. n. country: Tamghennest publisher.

Apuleius, L. (1924). *Apology-Floridas*, (text established and translated by Paul Valette). Algiers-Paris: Les Belles Lettres publishing company-Saint Eugène Minor Seminary Library.

Apuleius, L. M. (1999). *Metamorphoses of the Golden Donkey: A Novel.* (4th ed.). (Translated by Ali Fahmi Khashim). n. country : Markez Elhadhara Alarabia

Apuleius, L. (1865). *The Golden Donkey or Metamorphoses book 1*. (translated by Désiré Nisard). n. country: Atramente.

Apuleius, L. (2004). *"The Golden Donkey": The First Novel in the History of Humanity.* (3rd ed.). (Translated by Abu Al-A'id Dodo). Algeria - Beirut: Al-Ikhtilaf Publications - Dar Al-Arabiya Lil-Ulum.

Apuleius. (2017). In *The Open Tunisian Encyclopedia*. Retrieved from http://www.mawsouaa.tn/wiki

Apuleius, L. (n.d.). *The Plea or Defense of Sabratha*. (Translated by Amar Al-Jalassi). n. country: no publisher.

Boissier, G. (1909). *Roman Africa: Archaeological promenade in Algeria and Tunisia*. Paris: Hachette.

Camps, G. (1987). *The Berbers: Memory and Identity*. (2nd ed.). Paris: ERRANCE Editions.

Cèbe, J. P. (1989). Apuleius. In *Berber Encyclopedia.* Retrieved from http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/2565

Gostynski, T. (n.d.). *At the summit of human thought, the ancient literature of North Africa*. Marrakesh: Chatr Ahmed Bookstore.

Hamdawi, J. (2010). *Landmarks of Amazigh Civilization*. (2nd ed.). Morocco: All rights reserved to the historian.

Hamdawi, J. (2020). *(The Golden Donkey) by Afulay the Amazigh: The First Novel in the History of Humanity*. Nador - Tetouan: Dar Al-Rif for Printing and Electronic Publishing.

Hasouf, A. L. (2015). Lucius Apuleius Afolae Madaurosh: Life and Works of an Intellectual Amazigh. In *symia*. Retrieved from https://www.symiaconseil.dz/

Ibn Mays, A. S. (2010). *Aspects of Rational Thought in Ancient Amazigh Culture (Study in the History of Formal sciences and Their Applications)*. (2nd ed.). Rabat: Editions IDGL.

Julien, Ch. A. (1951). *History of North Africa from the origins to the Arab conquest (647 AD).* (2nd ed.). Paris: Payot.

Kaak, O. (n.d.) The *Berber*, n. country: Tamghennest publisher.

Kafka, F. (2015). *The Metamorphosis* (translated by Mubarak Wasat). Beirut - Baghdad: Al-Jamal Publications.

Méthy, N. (2011). An African look at the Empire? The world of Romain in the Metamorphoses of Apuleius. *Latomus: Journal of Latin Studies*, 70.

Monceaux, P. (n.d.). *Apuleius Roman and Magic*. Paris: Quentin House General Printing and Publishing Company.

Monceaux, P. (1963). *Literary History of Christian Africa from the Origins to the Arab Invasion 1st tome: Tertullian and the Origins*. Brussels-Paris: Culture and Civilization.

Ponsart, C. B. (1999). About the African memory of Apuleius, in Ancient and Medieval North Africa, Identity and Imagination, *Submitted to the study days organized by the GRHIS (Research Group for the History of Societies and Cultures)* January 28, 1998, and March 10, 1999, Publications of the University of Rouen.

Ramadani, T. (1998). Lucius Apuleius (125-180 AD). *Journal of Historical Studies*, 8(2), 18-21.

Shafiq, M. (1988). *Thirty-three centuries of Amazigh history*. Rabat: Copyright reserved to the author.

Sharfi, I. (n.d.). *History of Ancient Civilizations First Year of Secondary School*. Algeria: National Educational Institute..